وسعيد بن جبير والأعمش وعبد الرحمن بن زيد وهو مشهور فى اللغة ، قال عمرو بن كلثوم

فآبوا بالثياب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وقوله (سرابيلهم من قطران) أى ثيابهم التى يلبسونها من قطران وهو الذى تهنأ به الإبل أى تطلى قال قتادة وهو ألصق شىء بالنار . ويقال فيه قطران بفتح القاف وكسر الطاء وتسكينها وبكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبى النجم

كأن قطرانا إذا تلاها * ترمى به الريح إلى مجراها

وكان ابن عباس يقول القطران هو النحاس المذاب وربما قرأها (سرابيلهم من قطران) أى من نحاس حار قد انتهى حره وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقوله (وتغشى وجوههم النار) كقوله (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن إسحق أنبأنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبى كثير عن زيد عن أبى سلام عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» انفرد بإخراجه مسلم. وفى حديث القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ رفعه « النائحة إذا لم تتب توقف فى طريق بين الجنة والنار وسرابيلها من قطران وتغشى وجهها النار»

وقوله (ليجزى الله كل نفس ما كسبت) أى يوم القيامة (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) الآية (إن الله سريع الحساب) يحتمل أن يكون كقوله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) ويحتمل أنه فى حال محاسبته لعبده سريع النجاز لأنه يعلم كل شىء ولا يخفى عليه خافية وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم كقوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وهذا معنى قول مجاهد (سريع الحساب) إحصاء ويحتمل أن يكون المعنيان مرادين والله أعلم .

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يقول تعالى هذا القرآن بلاغ للناس كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) أى هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجن كما قال فى أول السورة (الر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الآية (ولينذروا به) أى لينعطوا به (وليعلموا أنما هو إله واحد) أى يستدلوا بما فيه من الحجج والدلالات على أنه لا إله إلا هو (وليذكر أولو الألباب) أى ذوو العقول آخر تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين .

﴿ تفسير سورة الحجر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا) الآية إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا فى الدنيا مسلمين ، ونقل السدى فى تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين . وقيل المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمنا ، وقيل هذا إخبار عن يوم القيامة كقوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال سفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى الزاهرية عن عبد الله فى قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال هذا فى الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار ، وقال ابن جرير حدثنى المثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبى فروة

العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هـذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) يتأولانها يوم يحبس الله أهـل الخطايا من المسلمين مع المشركين فى النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون فى الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وقال عبد الرزاق أخبرنا الثورى عن حماد عن إبراهيم وعن خصيف عن مجاهد قالا يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم إيمانكم ؟ فإذا قالوا ذلك قال الله أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، قال فعند ذلك قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا روى عن الضحاك وقتادة وأبى العالية وغيرهم ، وقد ورد فى ذلك أحاديث مرفوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن العباس هو الأخرم حدثنا محمد بن منصور الطوسى حدثنا صالح بن إسحق الجهبذ وابن علية يحيى بن موسى[1] حدثنا معروف بن واصل عن يعقوب بن نباتة عن عبد الرحمن الأغر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم « إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهـل اللات والعزى ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلا الله وأنتم معنا فى النار ؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم فى نهر الحياة فيبرءون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه ويدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين » ، فقال رجل يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » نعم أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ، ثم قال الطبرانى تفرد به الجهبذ

﴿ الحديث الثانى ﴾ قال الطبرانى أيضاً حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء على بن حسن الواسطى حدثنا خالد بن نافع الأشعرى عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهـل القبلة قال الـكفار للمسلمين ألم تـكونوا مسلمين ؟ قالوا بلى ، قالوا فما أغنى عنكم الإسـلام وقد صرتم معنا فى النار ؟ فالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان فى النار من أهل القبلة فأخرجوا . فلما رأى ذلك من بقى من الـكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ـ قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (الر تلك آيات الـكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) » ورواه ابن أبى حاتم من حديث خالد بن نافع به وزاد فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستعاذة . ﴿ الحديث الثالث ﴾ قال الطبرانى أيضا حـدثنا موسى بن هارون حـدثنا إسحق ابن راهويه قال قلت لأبى أسامة أحدثكم أبو روق واسمه عطية بن الحارث حدثنى صالح بن أبى شريف قال سألت أبا سعيد الخـدرى فقلت له هـل سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول فى هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ؟ قال نعم سمعته يقول « يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما تأخذ نقمته منهم » وقال « لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون تزعمون أنـكم أولياء الله فى الدنيا فما بالـكم معنا فى النار ، فإذا سمع الله ذلك منهم أذن فى الشفاعة لهم فيشفع لهم الملائـكة والنبيون ويشفع المؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله ، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم ـ قال ـ فذلك قول الله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) فيسمون فى الجنة الجهنميين من أجل سوادفى وجوههم فيقولون يارب أذهب عنا هـذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون فى نهر فى الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم » فأقربه أبو أسامة وقال نعم ﴿ الحـديث الرابع ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرسى حدثنا مسكين أبو فاطمة حدثنى اليمان بن يزيد عن محمد بن جبير عن محمد بن على عن أبيه عن جده قال : قال رسـول الله ﷺ « منهم من تأخـذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخـذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم ، ومنهم من يمـكث فيها شهرا ثم يخرج منها ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها ، وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى ، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن فى النار من أهل الأديان والأوثان لمن فى النار من أهل التوحيد : آمنتم بالله وكتبه

(١) فى النسخة المـكية : ابن معين

ورسله فحن وأنتم اليوم فى النار سواء ، فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه لشىء فيما مضى فيخرجهم إلى عين فى الجنة وهو قوله (ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين)» وقوله (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) تهديد شديد لهم ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقوله (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) ولهذا قال (ويلهيهم الأمل) أى عن التوبة والانابة (فسوف يعلمون) أى عاقبة أمرهم

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ * مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم ، وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الاقلاع عما هم عليه من الشرك والعناد والالحاد الذى يستحقون به الهلاك

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

يخبر تعالى عن كفرهم وعنادهم فى قولهم (يا أيها الذى نزل عليه الذكر) أى الذى تدعى ذلك (إنك لمجنون) أى فى دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ماوجدنا عليه آباءنا (لوما) أى هلا (تأتينا بالملائكة) أى يشهدون لك بصحة ماجئت به كما قال فرعون (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أوجاء معه الملائكة مقترنين) ، (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أونرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا * يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا) وكذا قال فى هذه الآية (ماننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) وقال مجاهد فى قوله (ماننزل الملائكة إلا بالحق) بالرسالة والعذاب ثم قرر تعالى أنه هو الذى أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ، ومنهم من أعاد الضمير فى قوله تعالى (له لحافظون) على النبى ﷺ كقوله (والله يعصمك من الناس) والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾

يقول تعالى مسليا لرسوله ﷺ فى تكذيب من كذبه من كفار قريش إنه أرسل من قبله من الأمم الماضيه وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزءوا به ، ثم أخبر أنه سلك التكذيب فى قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى ، قال أنس والحسن البصرى (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) يعنى الشرك وقوله (قد خلت سنة الأولين) أى قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار وكيف أنجى الله الأنبياء وأتباعهم فى الدنيا والآخرة

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك بل قالوا (إنما سكرت أبصارنا) قال مجاهد وابن كثير والضحاك: سدت أبصارنا ، وقال قتادة عن ابن عباس: أخذت أبصارنا ، وقال العوفى عن ابن عباس : شبه علينا وإنما سحرنا ، وقال الكلبى : عميت أبصارنا وقال ابن زيد : سكرت أبصارنا. السكران الذى لا يعقل .

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ

ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾

يذكر تعالى خلقه السماء فى ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه ولهذا قال مجاهد وقتادة البروج ههنا هى الكواكب (قلت) وهذا كقوله تبارك وتعالى (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) الآية . ومنهم من قال البروج هى منازل الشمس والقمر ، وقال عطية العوفى البروج ههنا هى قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسالها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى ممن تمرد وتقدم منهم لا ستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التى سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذى هو دونه فيأخذها الآخر ويأتى بها إلى وليه كما جاء مصرحا به فى الصحيح كما قال البخارى فى تفسير هذه الآية : حدثنا على بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبى هريرة يبلغ به النبى ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان » قال على وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ، ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمى بها إلى الذى يليه إلى الذى هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض وربما قال سفيان حتى تنتهى إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التى سمعت من السماء ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الرواسى والأودية والأراضى والرمال وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة ، وقال ابن عباس (من كل شىء موزون) أى معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عيينة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة ومنهم من يقول مقدر بقدر . وقال ابن زيد من كل شىء يوزن ويقدر بقدر ، وقال ابن زيد ما يزنه أهل الأسواق . وقوله ، (وجعلنا لكم فيها معايش) يذكر تعالى أنه صرفهم فى الأرض فى صنوف الأسباب والمعايش وهى جمع معيشة وقوله (ومن لستم له برازقين) قال مجاهد هى الدواب والأنعام ، وقال ابن جرير هم العبيد والاماء والدواب والأنعام ، والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش ، وبما سخر لهم من الدواب التى يركبونها والأنعام التى يأكلونها والعبيد والاماء التى يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم ، فلهم هم المنفعة ، والرزق على الله تعالى .

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك كل شىء وأن كل شىء سهل عليه يسير لديه ، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف (وما ننزله إلا بقدر معلوم) كما يشاء وكما يريد ولما له فى ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة . قال يزيد بن أبى زياد عن أبى جحيفة عن عبد الله ما من عام أمطر من عام ولكن الله يقسمه حيث شاء عاما ههنا وعاما ههنا ثم قرأ (وإن من شىء إلا عندنا خزائنه) الآية رواه ابن جرير ، وقال أيضا حدثنا القاسم حدثنا هشيم أخبرنا إسماعيل بن سالم عن الحكم بن عيينة فى قوله (وما ننزله إلا بقدر معلوم) قال ماعام

بأكثر مطراً من عام ولا أقل ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون بما كان فى البحر ، قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت ، وقال البزار حدثنا داود هو ابن بكير حدثنا حيان بن أغلب بن تميم حدثنى أبى عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خزائن الله الكلام فإذا أراد شيئاً قال له كن فكان » ثم قال لا يرويه إلا أغلب وليس بالقوى وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ولم يروه عنه إلا ابنه وقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) أى تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها وذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الانتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها ووصفها بالعقيم وهو عدم الانتاج لأنه لا يكون إلا بين شيئين فصاعدا ، وقال الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود فى قوله (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ترسل الريح فتحمل الماء من السماء ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة وكذا قال ابن عباس وإبراهيم النخعى وقتادة ، وقال الضحاك يبعثها الله على السحاب فتلقحه فيمتلئ ماء ، وقال عبيد بن عمير الليثى يبعث الله المبشرة فتقم الأرض قما ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر ثم تلا (وأرسلنا الرياح لواقح) وقد روى ابن جرير من حديث عبيس بن ميمون عن أبى المهزم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الريح الجنوب من الجنة وهى التى ذكر الله فى كتابه وفيها منافع للناس » وهذا إسناد ضعيف ، وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى فى مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى يزيد بن جعدية الليثى أنه سمع عبد الرحمن ابن مخراق يحدث عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله خلق فى الجنة ريحاً بعد الريح سبع سنين وإن من دونها بابا مغلقاً وإنما يأتيكم الريح من ذلك الباب ولو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض من شىء وهى عند الله الاذيب وهى فيكم الجنوب » وقوله (فأسقيناكموه) أى أنزلناه لكم عذبا يمكنكم أن تشربوا منه لو نشاء جعلناه أجاجاً كما نبه على ذلك فى الآية الأخرى فى سورة الواقعة وهو قوله تعالى (أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون) وفى قوله (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) وقوله (وما أنتم له بخازنين) قال سفيان الثورى بمانعين ويحتمل أن المراد وما أنتم له بحافظين بل نحن نزله ونحفظه عليكم ونجعله معينا وينابيع فى الأرض ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا وحفظه فى العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ليبقى لهم فى طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم وقوله (وإنا لنحن نحيى ونميت) إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته وأنه هو الذى أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ، ثم أخبر تعالى عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم فقال (ولقد علمنا المستقدمين منكم) الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما : المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام والمستأخرون من هو حى ومن سيأتى إلى يوم القيامة ، وروى نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبى وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون فى الصفوف من أجل النساء فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وقد ورد فيه حديث غريب جدا فقال ابن جرير حدثنى محمد بن موسى الجرشى حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن قيس حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت تصلى خلف النبى ﷺ امرأة حسناء قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلها قط وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا يعنى لئلا يروها وبعض يستأخرون ، فإذا سجدوا نظروا اليها من تحت أيديهم فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وكذا رواه أحمد وابن أبى حاتم فى تفسيره ورواه الترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحذانى وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وحكى عن ابن معين تضعيفه وأخرجه مسلم وأهل السنن ، وهذا الحديث

فيه نكارة شديده وقدرواه عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو النكرى أنه سمع أبا الجوزاء يقول فى قوله (ولقدعلمنا المستقدمين منكم) فى الصفوف فى الصلاة (والمستأخرين) فالظاهر أنه من كلام أبى الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر ، وقدقال الترمذى هذا أشبه من رواية نوح بن قيس والله أعلم وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن أبى معشر عن أبيه أنه سمع عون بن عبدالله يذكر محمد بن كعب فى قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقدعلمنا المستأخرين) وأنهافى صفوف الصلاة فقال محمد بن كعب ليس هكذا (ولقدعلمنا المستقدمين منكم) الميت والمقتول (والمستأخرين) من يخلق بعد (وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم) فقال عون بن عبدالله وفقك الله وجزاك خيراً

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس والظاهر أنه كقوله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار) وعن مجاهد أيضاً (الصلصال) المنتن وتفسير الآية بالآية أولى وقوله (من حمأ مسنون) أى الصلصال من حمأ وهو الطين . والمسنون الأملس كما قال الشاعر :

ثم خاصرتها إلى القبة الخض * راء تمشى فى مرمر مسنون

أى أملس صقيل ولهذا روى عن ابن عباس أنه قال هو التراب الرطب ، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحاك ان الحمأ المسنون هو المنتن وقيل المراد بالمسنون ههنا المصبوب ، وقوله (والجان خلقناه من قبل) أى من قبل الانسان (من نارالسموم) قال ابن عباس هى السموم التى تقتل ، وقال بعضهم السموم بالليل والنهار ومنهم من يقول السموم بالليل والحرور بالنهار ، وقال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال دخلت على عمر الأصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثاً سمعته من عبد الله بن مسعود يقول هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التى خلق منها الجان ثم قرأ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وعن ابن عباس أن الجان خلق من لهب النار وفى رواية من أحسن النار ، وعن عمرو بن دينار من نار الشمس ، وقد ورد فى الصحيح « خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »(١) والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارة محتده

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم فى ملائكته قبل خلقه له وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً وافتخاراً بالباطل ولهذا قال (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) كقوله (أناخير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) وقوله (أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ) الآية . وقدروى ابن جرير ههنا أثرا غريباً عجيباً من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال (إنى خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) قالوا لا نفعل ، فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال إنى خالق بشرا من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال إنى خالق بشرا من طين فإذا أنا خلقته فاسجدوا له قالوا سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفى ثبوت هذا عنه بعد ، والظاهر أنه إسرائيلى والله أعلم

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

(١) رواه مسلم وأحمد عن عائشة

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾

يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمراً كونياً لا يخالف ولا يمانع بالخروج من المنزلة التى كان فيها من الملأ الأعلى وأنه رجيم أى مرجوم وأنه قد أتبعه لعنة لا تزال متصلة به لا حقة له متواترة عليه إلى يوم القيامة . وعن سعيد بن جبير أنه قال : لما لعن الله إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة فى الدنيا إلى يوم القيامة منها رواه ابن أبى حاتم ، وأنه لما تحقق الغضب الذى لا مرد له سأل من تمام حسده لآدم وذريته النظرة إلى يوم القيامة وهو يوم البعث وأنه أجيب إلى ذلك استدراجاً له وإمهالا فلما تحقق النظرة قبحه الله

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب (بما أغويتنى) قال بعضهم أقسم باغواء الله له (قلت) ويحتمل أنه بسبب ما أغويتنى وأضللتنى (لأزينن لهم) أى لذرية آدم عليه السلام (فى الأرض) أى أحبب إليهم المعاصى وأرغبهم فيها وأأزهم إليها وأزعجهم إليها إزعاجاً (ولأغوينهم أجمعين) أى كما أغويتنى وقدرت علىّ ذلك (إلا عبادك منهم المخلصين) كقوله (أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) (قال) الله تعالى له متهدداً ومتوعداً (هذا صراط على مستقيم) أى مرجعكم كلكم إلى فأجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) وقيل طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى وإليه تنتهى قاله مجاهد والحسن وقتاده كقوله (وعلى الله قصد السبيل) وقرأ قيس بن عبادة ومحمد بن سيرين وقتادة (هذا صراط على مستقيم) كقوله (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) أى رفيع والمشهور القراءة الأولى . وقوله (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك إليهم (إلا من اتبعك من الغاوين) استثناء منقطع. وقدأورد ابن جرير ههنا من حديث عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن موهب حدثنا يزيد بن قسيط قال : كانت الأنبياء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم فإذا أراد النبى أن يستنبئ ربه عن شىء خرج إلى مسجده فصلى ما كتب الله له ثم سأله ما بداله ، فبينا نبى فى مسجده إذ جاء عدو الله — يعنى إبليس — حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرنى بأى شىء تنجو منى فقال النبى بل أخبرنى بأى شىء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد على صاحبه فقال النبى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذى تعوذ منه فهو هو فقال النبى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرده ذلك ثلاث مرات ، فقال عدو الله أخبرنى بأى شىء تنجو منى فقال النبى بل أخبرنى بأى شىء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبى إن الله تعالى يقول (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبى ويقول الله (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) وإنى والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك ، قال عدو الله صدقت بهذا تنجو منى فقال النبى أخبرنى بأى شىء تغلب ابن آدم ، قال آخذه عند الغضب والهوى . وقوله (وإن جهنم لموعدهم أجمعين) أى جهنم موعد جميع من اتبع إبليس كما قال عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب (لكل باب منهم جزء مقسوم) أى قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه أجارنا الله منها ، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر فى درك بقدر عمله ، قال إسماعيل بن علية وشعبة كلاهما عن أبى هارون الغنوى عن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت على بن أبى طالب وهو يخطب قال : إن أبواب جهنم هكذا — قال أبو هارون — أطباقا بعضها

فوق بعض ، وقال إسرائيل عن أبي إسحق عن هبيرة بن أبي مريم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلىء الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلىء كلها ، وقال عكرمة سبعة أبواب سبعة أطباق ، وقال ابن جريج سبعة أبواب أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه ، وكذا روى عن الأعمش بنحوه أيضاً ، وقال قتاده (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) هي والله منازل بأعمالهم رواهن ابن جرير ، وقال جويبر عن الضحاك (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) قال باب للهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب للذين أشركوا وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لأهل التوحيد ، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبداً

وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي — أو قال على أمة محمد — » ثم قال لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عباس بن الوليد الخلال حدثنا زيد — يعني ابن يحيى — حدثنا سعيد بن بشير عن قتاده عن أبي نضرة عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال « إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه منازلهم بأعمالهم فذلك قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) » .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾

لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وأنهم في جنات وعيون وقوله (ادخلوها بسلام) أي سالمين من الآفات مسلم عليكم (آمنين) أي من كل خوف وفزع ولا تخشوا من إخراج ولا انقطاع ولا فناء، وقوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) روى القاسم عن أبي أمامة قال يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ (ونزعنا ما في صدورهم من غل) هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف ، وقد روى سعيد في تفسيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي أمامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري . وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله ﷺ قال « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة » وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال استأذن الأشتر على علي رضي الله عنه وعنده ابن لطلحة فحبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال إني لا أراك إنما حبستني لهذا ؟ قال أجل قال إني لأراه لو كان عندك ابن لعثمان لحبستني قال أجل إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) وقال ابن جرير أيضاً حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي حدثنا أبو حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وحدثنا الحسن حدثنا أبو معاوية الضرير حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر

متقابلين) قال ورجلان جالسان إلى ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا ، فقال على رضى الله عنه قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هم إذاً إن لم أكن أنا وطلحة ، وذكر أبو معاوية الحديث بطوله وروى وكيع عن أبان بن عبد الله البجلى عن نعيم بن أبى هند عن ربعى بن خراش عن على نحوه وقال فيه فقام رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال فصاح به على صيحة فظننت أن القصر تدهده لها ثم قال إذا لم نكن نحن فمن هم ؟ وقال سعيد بن مسروق عن أبى طلحة وذكره وفيه فقال الحارث الأعور ذلك فقام إليه على رضى الله عنه فضربه بشىء كان فى يده فى رأسه وقال فمن هم يا أعور إذا لم نكن نحن ؟ وقال سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم قال : جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على على رضى الله عنه فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاء فتجفوهم فقال على : بفيك التراب إنى لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرور متقابلين) وكذا روى الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بنحوه ، وقال سفيان بن عيينه عن إسرائيل عن أبى موسى سمع الحسن البصرى يقول . قال على فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وقال كثير النوا : دخلت على أبى جعفر محمد بن على فقلت ولي وليكم ، وسلمى سلمكم ، وعدوى عدوكم ، وحربى حربكم . أنا أسالك بالله أتبرأ من أبى بكر وعمر فقال (قد ضلك إذا وما أنا من المهتدين) تولهما يا كثير فما أدركك فهو فى رقبتى هذه ، ثم تلا هذه الآية (إخوانا على سرر متقابلين) قال أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم أجمعين ، وقال الثورى عن رجل عن أبى صالح فى قوله (إخوانا على سرر متقابلين) قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ، وقوله (متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم فى قفا بعض وفيه حديث مرفوع

قال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين عن إبراهيم القومسى عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبى أوفى قال . خرج علينا رسول الله ﷺ وتلا هذه الآية (إخوانا على سرر متقابلين) فى الله ينظر بعضهم إلى بعض ، وقوله (لا يمسهم فيها نصب) يعنى المشقة والأذى كما جاء فى الصحيحين « إن الله أمرنى أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » وقوله (وما هم منها بمخرجين) كما جاء فى الحديث « يقال يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبدا » وقال الله تعالى (خالدين فيها لا يبغون عنها حولا)

وقوله (نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم) أى أخبر يا محمد عبادى أنى ذو رحمة وذو عذاب أليم ، وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية الكريمة وهى دالة على مقامى الرجاء والخوف ، وذكر فى سبب نزولها ما رواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال مر رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه يضحكون فقال « اذكروا الجنة واذكروا النار » فنزلت (نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) رواه ابن أبى حاتم وهو مرسل ، وقال ابن جرير حدثنى المثنى حدثنا إسحق أخبرنا ابن المكى أخبرنا ابن المبارك أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبى رباح عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذى يدخل منه بنو شيبة فقال « ألا أراكم تضحكون » ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى فقال « إنى لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله يقول لم تقنط عبادى (نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) » وقال سعيد عن قتادة فى قوله (نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم) قال بلغنا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخع نفسه »

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا

نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾

يقول تعالى وخبرهم يا محمد عن قصة (ضيف إبراهيم) والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر، وكيف (دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون) أى خائفون، وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه إليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيذ (قالوا لا توجل) أى لا تخف (وبشروه بغلام عليم) أى إسحق عليه السلام كما تقدم فى سورة هود ثم (قال) متعجباً من كبره وكبر زوجته ومتحققاً للوعد (أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون) فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقاً وبشارة بعد بشارة (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) وقرأ بعضهم القنطين فأجابهم بأنه ليس يقنط ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته فانه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى انه شرع يسألهم عما جاءوا له فقالوا (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فانها من الهالكين، ولهذا قالوا (إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين) أى الباقين المهلكين

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة فى صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال (إنكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنون بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذى كانوا يشكون فى وقوعه بهم وحلوله بساحتهم (وأتيناك بالحق) كقوله تعالى (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) وقوله (وإنا لصادقون) تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به من نجاته وإهلاك قومه

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسرى بأهله بعد مضى جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشى وراءهم ليكون أحفظ لهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشى فى الغزو إنما يكون ساقة يزجى الضعيف ويحمل المنقطع وقوله (ولا يلتفت منكم أحد) أى إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال (وامضوا حيث تؤمرون) كذا كان معهم من يهديهم السبيل (وقضينا إليه ذلك الأمر) أى تقدمنا إليه فى هذا (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أى رقت الصباح كقوله فى الآية الأخرى (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب)

﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ *

﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين (قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون) وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله كما قال في سورة هود وأما ههنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما إذا دل دليل على خلافه فقالوا له مجيبين (أولم ننهك عن العالمين) أي أوما نهيناك أن تضيف أحدا ؟ فأرشدهم إلى نسائهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة . وقد تقدم إيضاح القول في ذلك بما أغنى عن إعادته . هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وماذا يصبحهم من العذاب المستقر . ولهذا قال تعالى لمحمد ﷺ (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض . قال عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله وما ذرأ ومابرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) يقول وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) رواه ابن جرير وقال قتادة (في سكرتهم) أي في ضلالتهم (يعمهون) أي يلعبون ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لعمرك) لعيشك (إنهم لفي سكرتهم يعمهون) قال يترددون

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى (فأخذتهم الصيحة) وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وإرسال حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية ، وقوله (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) أي إن آثار هذه النقم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته كما قال مجاهد في قوله (للمتوسمين) قال المتفرسين ، وعن ابن عباس والضحاك للناظرين وقال قتادة للمعتبرين ، وقال مالك عن بعض أهل المدينة (للمتوسمين) للمتأملين . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير العبدي عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » ثم قرأ النبي ﷺ (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال ابن جرير أيضاً حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحسن بن محمد حدثنا الفرات بن السائب حدثنا ميمون ابن مهران عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله » وقال ابن جرير حدثني أبو شرحبيل الحمصي حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وبتوفيق الله » . وقال أيضاً حدثنا عبد الأعلى بن واصل حدثنا سعيد ابن محمد الجرمي حدثنا عبد الواحد بن واصل حدثنا أبو بشر المزلق عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم » ، ورواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو بشر يقال له ابن المزلق قال وكان ثقة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم » وقوله (وإنها لبسبيل مقيم) أي وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي والقذف بالحجارة حتى صارت محيرة منتنة خبيثة بطريق مهيع مسالكه مستمرة إلى اليوم كقوله (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون * وإن يونس لمن المرسلين) وقال مجاهد والضحاك (وإنها لبسبيل

مقيم) قال معلم ، وقال قتادة بطريق واضح ، وقال قتادة أيضا بصقع من الأرض واحد ، وقال السدى بكتاب مبين يعنى كقوله (وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين) ولكن ليس المعنى على ماقال ههنا والله أعلم ، وقوله (إن فى ذلك لآية للمؤمنين) أى إن الذى صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وانجائنا لوطا وأهله لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ * فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب ، قال الضحاك وقتادة وغيرهما الأيكة الشجر المتلف وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريباً من قوم لوط بعدهم فى الزمان ومسامتين لهم فى المكان ، ولهذا قال تعالى (وإنهما لبإمام مبين) أى طريق مبين قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره طريق ظاهر ، ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال فى نذارته إياهم (وما قوم لوط منكم ببعيد)

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ * وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

أصحاب الحجر هم ثمود الذين كذبوا صالحا نبيهم عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين ، وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ماجاءهم به صالح كالناقة التى أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء وكانت تسرح فى بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، فلما عتوا وعقروها قال لهم (تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وقال تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وذكر تعالى أنهم (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) أى من غير خوف ولا احتياج اليها بل أشرا وبطرا وعبثا كما هو المشاهد من صنيعهم فى بيوتهم بوادى الحجر الذى مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فقنع رأسه وأسرع دابته وقال لأصحابه « لاتدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فان لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم » وقوله (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أى وقت الصباح من اليوم الرابع (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التى ضنوا بمائها عن الناقة حتى عقروها لئلا تضيق عليهم فى المياه ، فما دفعت عنهم تلك الأموال ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

يقول تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية) أى بالعدل (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا) الآية ، وقال تعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ثم أخبر نبيه بقيام الساعة وأنها كائنة لامحالة ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين فى أذاهم له وتكذيبهم ماجاءهم به كقوله (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) وقال مجاهد وقتادة وغيرهما كان هذا قبل القتال ، وهو كما قالا ، فان هذه مكية والقتال إنما شرع بعد الهجرة ، وقوله (إن ربك هو الخلاق العليم) تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة فانه الخلاق الذى لايعجز خلق شىء العليم بما تمزق من الأجساد وتفرق فى سائر أقطار الأرض كقوله (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون)

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى لنبيه ﷺ كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها وما متعنا به أهلها من الزهرة الفانية لنفتنهم فيه فلا تغبطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم فى تكذيبهم لك ومخالفتهم دينك (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أى ألن لهم جانبك كقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقد اختلف فى السبع المثانى ماهى، فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم هى السبع الطول يعنون البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، نص عليه ابن عباس وسعيد بن جبير، وقال سعيد بن فيهن الفرائض والحدود والقصص والأحكام ، وقال ابن عباس بين الأمثال والخبر والعبر وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر قال : قال سفيان: المثانى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، والأنفال وبراءة سورة واحدة ، قال ابن عباس ولم يعطهن أحد إلا النبى صلى الله عليه وسلم وأعطى موسى منهن ثنتين. رواه هشيم عن الحجاج عن الوليد بن العيذار عن سعيد بن جبير عنه، وقال الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوتى النبى ﷺ سبعاً من المثانى الطول وأوتى موسى عليه السلام ستا ، فلما ألقى الألواح ارتفع اثنتان وبقيت أربع، وقال مجاهد هى السبع الطوال ويقال هى القرآن العظيم وقال خصيف عن زياد بن أبى مريم فى قوله تعالى (سبعا من المثانى) قال أعطيتك سبعة أجزاء مر، وانه، وبشر، وأنذر واضرب الأمثال، واعدد النعم وانبئك بنبأ القرآن. رواه ابن جرير وابن أبى حاتم (والقول الثانى) أنها الفاتحة وهى سبع آيات. وروى ذلك عن على وعمر وابن مسعود وابن عباس ، قال ابن عباس والبسملة هى الآية السابعة وقد خصكم الله بها وبه قال إبراهيم النخعى وعبد الله بن عبيد بن عمير وابن أبى مليكة وشهر بن حوشب والحسن البصرى ومجاهد، وقال قتادة ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب وأنهن يثنين فى كل ركعة مكتوبة أو تطوع ، واختاره ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة فى ذلك وقد قدمناها فى فضائل سورة الفاتحة فى أول التفسير ولله الحمد ، وقد أورد البخارى رحمه الله ههنا حديثين أحدهما قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى سعيد بن المعلى قال مر بى النبى ﷺ وأنا أصلى فدعانى فلم آته حتى صليت فأتيته فقال « ما منعك أن تأتينى ؟ » فقلت كنت أصلى فقال «ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم) ألا أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج من المسجد» فذهب النبى صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت فقال « (الحمد لله رب العالمين) هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته » (الثانى) قال حدثنا آدم حدثنا ابن أبى ذئب حدثنا المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم » فهذا نص فى أن الفاتحة السبع المثانى والقرآن العظيم ولكن لا ينافى وصف غيرها من السبع الطول بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافى وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً كما قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى) فهو مثانى من وجه ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضاً كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فأشار إلى مسجده والآية نزلت فى مسجد قباء فلا تنافى فان ذكر الشىء لا ينفى ذكر ما عداه إذا اشتركا فى تلك الصفة والله أعلم وقوله (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أى استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من المتاع والزهرة الفانية ، ومن ههنا ذهب ابن عيينة إلى تفسير الحديث الصحيح «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» إلى أنه يستغنى به عما عداه وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم فى أول التفسير . وقال ابن أبى حاتم ذكر عن وكيع بن الجراح حدثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى رافع صاحب النبى صلى الله عليه وسلم قال : ضاف النبى صلى الله عليه وسلم ضيف ولم يكن عند النبى ﷺ شىء يصلحه فأرسل إلى رجل من اليهود « يقول لك محمد رسول الله أسلفنى

دقيقا إلى هلال رجب» قال لا ، إلا برهن فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال « أما والله إني لأمين من في السماء وأمين من في الأرض ولئن أسلفني أو باعني لأؤدين إليه » فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) إلى آخر الآية كأنه يعزيه عن الدنيا قال العوفي عن ابن عباس (لا تمدن عينيك) قال نهى الرجل أن يتمنى ما لصاحبه . وقال مجاهد (إلى متعنا به أزواجا منهم) هم الأغنياء

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس (إني أنا النذير المبين) البين النذارة نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام وقوله (المقتسمين) أي المتحالفين أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم كقوله تعالى إخباراً عن قوم صالح إنهم (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) الآية أي نقتلهم ليلا قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل) الآية (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ،) فكأنهم كانوا لا يكذبون بشيء من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقتسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله . وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبه طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق » وقوله (الذين جعلوا القرآن عضين) أي جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أنبأنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال (كما أنزلنا على المقتسمين) قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى ، قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس (جعلوا القرآن عضين) قال السحر ، وقال عكرمة العضه السحر بلسان قريش تقول للساحرة إنها العاضهة وقال مجاهد عضوه أعضاء قالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا أساطير الأولين ، وقال عطاء قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقال كاهن فذلك العضين وكذا روى عن الضحاك وغيره ، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضا فقالوا وأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به قال بل أنتم قولوا لأسمع قالوا نقول كاهن ، قال ما هو بكاهن قالوا فنقول مجنون ، قال ما هو بمجنون قالوا فنقول شاعر ، قال ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر ، قال ما هو بساحر قالوا فماذا نقول ، قال والله إن لقوله لحلاوة ثم أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا هو ساحر ، فتفرقوا عنه بذلك وأنزل الله فيهم (الذين جعلوا القرآن عضين) أصنافا (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا تعملون) أولئك النفر الذين قالوا لرسول الله ، وقال عطية العوفي عن ابن عمر في قوله (لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن لا إله إلا الله وقال عبد الرزاق أنبأنا الثوري عن ليث هو ابن أبي سليم عن مجاهد في قوله تعالى (لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال

عن لا إله إلا الله وقد روى الترمذى وأبو يعلى الموصلى وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث شريك القاضى عن ليث بن أبى سليم عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبى ﷺ (فوربك لنسألنهم أجمعين) قال عن لا إله إلا الله ، ورواه ابن ادريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفا ، وقال ابن جرير حدثنا أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن حكيم قال ورواه الترمذى وغيره من حديث أنس مرفوعا وقال عبد الله هو ابن مسعود والذى لا إله غيره ما منكم من أحد إلا سيخلوا الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فيقول : ابن آدم ماذا غرك منى بى؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعما ذا أجابوا المرسلين ؛ وقال ابن عيينة عن عمرو عن مالك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا يونس الحذاء عن أبى حمزة الشيبانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المرء يسئل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعه ، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك » وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ثم قال (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قال لا يسألهم هل عملتم كذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ؟

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بابلاغ ما بعثه به وبانفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس فى قوله (فاصدع بما تؤمر) أى أمضه ، وفى رواية (افعل ما تؤمر) وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن فى الصلاة وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود مازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفياً حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر) فخرج هو وأصحابه وقوله (وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين) أى بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذى يريدون أن يصدوك عن آيات الله (ودوا لو تدهن فيدهنون) ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم كقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحق بن إدريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد ابن درهم عن أنس قال سمعت أنساً يقول فى هذه الآية (إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر) قال مر رسول الله ﷺ فغمزه بعضهم فجاء جبريل أحسبه قال فغمزهم فوقع فى أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا ، وقال محمد بن إسحق كان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الأسود بن المطلب أبو زمعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه فقال « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » ومن بنى زهرة الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، ومن بنى مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الطلاطلة ابن عمرو بن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان . فلما تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنا كفيناك المستهزئين — إلى قوله — فسوف يعلمون) قال ابن إسحق فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير اوغيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى

بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت فى أخمص قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخط قيحا فقتله ، قال محمد بن اسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذى جمعهم وهكذا روى عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحق به عن يزيد عن عروة بطوله إلا أن سعيدا يقول الحارث بن غيطلة وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهرى وصدقا هو الحارث بن قيس وأمه غيطلة وكذا روى عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة وقال الشعبى كانوا سبعة والمشهور الأول وقوله (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون) تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع الله معبوداً آخر وقوله (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) أى وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدر وانقباض فلا بهيدنك ذلك ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله وتوكل عليه فانه كافيك وناصرك عليهم فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التى هى الصلاة . ولهذا قال (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا معاوية بن صالح عن أبى الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » ورواه أبو داود والنسائى من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى ، وقوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال البخارى قال سالم الموت وسالم هذا هو سالم بن عبد الله بن عمر كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثنا طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال الموت وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا (لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين) وفى الصحيح من حديث الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أن الله أكرمه : » فقلت بأبى وأمى يارسول الله فمن ؟ فقال « أما هو فقد جاءه اليقين وإنى لأرجو له الخير » ويستدل بهذه الآية الكريمة وهى قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً فيصلى بحسب حاله كما ثبت فى صحيح البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب » ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا الموت كما قد مناه ولله الحمد والمنه والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل وهو المسئول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فانه جواد كريم . آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله رب العالمين .

﴿ تفسير سورة النحل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾